التكرار والتوافق النغمي في شعر ذي الرمة

م.م .فاتن فاضل كاظم

كلية التربية /صفي الدين الحلي

ذو الرمة لقب غلب على الشاعر الأموي غيلان بن عقبة .ولد الشاعر في بادية اليمامة عام 77 للهجرة ،وكان دائم التنقل بين الكوفة والبصرة كثير الترحال حتى وصل في رحلاته الى مكة ودمشق ،وتميز بثقافة بدوية واسعة أثارت إعجاب الشعراء ،[1] فقد كان مطلعا على الشعر الجاهلي عارفا باللغة وغريبها ، ملما باشعارمعاصريه من امثال جرير والفرزدق مما انعكس على شعره ،وقد اجمع معاصروه (انه كان ذكيا ذكاء حادا وانه كان كنزا من كنوز الفطنة وذخائرها الدقيقة ، كما كان كنزا من كنوز العلم بالشعر القديم واللغة)[2].

وقد كان ذو الرمة من شعراء الصنعة الذين عرفوا بتجويد الشعر وصياغته الموسيقية ، ذلك ان الموسيقى عنصرمهم من عناصر البناء الفني ، اما الوزن والقافية فهما مظهران من مظاهرالموسيقى .

وللتكرار صلة مباشرة بالموسيقى فهو أحد العناصر الرئيسة في البناء الايقاعي الشعري ان لم يكن جوهر الايقاع ،اذ تتكون بحور الشعر العربي من مقاطع متساوية نتيجة تكرار التفعيلات العروضية في الأبيات، بالإضافة إلى أن التفعيلة نفسها تقوم على تكرار مقاطع متساوية و تساوي هذا التكرار يخلق جواً موسيقياً متناسقا وإيقاعا متناغما ،ذلك ان للشعر نواحي عدة و أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ وانسجام توالي المقاطع وتردد بعضها بقدر معين و هذا ما نسميه (موسيقى الشعر)[3] التي تنشأ من توالي أصوات على نحو معين فتكون لها القدرة للتاثيرفي المتلقي والعمل على شد حواسه وجذب انتباهه ، فهي سلسلة اصوات ينبعث عنها المعنى .[4]

وقد حافظ العرب على وحدة الإيقاع والوزن في آبيات القصيدة كلها ،(وكان الذي يراعى في القصيدة هو المساواة بين ابياتها في الايقاع والوزن بعامة ،بحيث تتساوى الابيات في حظها من عدد الحركات والسكنات في توليها . وتتضمن هذه المساواة وحدة عامة للنغم ، وتشابها بين الأبيات واجزائها تشابها ينتج عنه تناسب تام ، وتكرار للنغم تألفه الآذان لتسر به النفس .وهذه طبيعة النفس في إدراكها عن طريق حواسها المختلفة . فإذا رأت العين شكل بلور ، سرت بتساوي جوانبه ، فإذا اكتشفت بعد ذلك تناسب زواياه تضاعف سرورها ، وكلما اكتشفت جوانب جديدة منه متساوية ،زاد سرورها على قدر اكتشافها . وكذاك الشان في الأصوات المناسبة ، وفي الموسيقى . فبترتيب نغمات الموسيقى تألفه الأذن وتلذ به)[5].

وكما للتكرار صلة بالوزن فصلته بالقافية اوضح ،اذ يلتزم الشاعر العربي بقافية واحدة في جميع القصيدة ، وقد يبدو لاول وهلة ان القافية (ليست سوى عدة اصوات تتكرر في اواخر الاشطر او الابيات من القصيدة) [6] الا ان للقافية قيمة موسيقية في مقطع البيت ، اذ تعد القافية (ظاهرة موسيقية تعين على إعطاء قيمة صوتية ووزنية تضاف إلى ما تقوم به التفعيلات في البحور)[7] ، وتكرارالقافية في القصيدة يزيد في وحدة النغم ،ولاسيما إذا كانت طبيعية لايؤتى بها لتتمة البيت و كلماتها ذات معان متصلة بموضوع القصيدة ، بل يكون معنى البيت مبنيا عليها بحيث لا يشعر المرء ان البيت مجلوب من اجل القافية ، بل تكون هي المجلوبة من اجله .[8]

وللتكرارا اهمية كبيرة فهو احد سنن العرب التي يراد بها بعد الإبلاغ تأكيد المعنى المقصود والمبالغة فيه،[9] وهو من الوسائل التي يجري فيها توقيع الموسيقى الداخلية فالتكرار (يولد الايقاع).[10]

---

[1] ينظر : الاغاني ، أبو الفرج الاصبهاني ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 2 ، 1961 : 18 / 9 .

[2] **العصر الاسلامي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط 17 ، 1996 : 390 .**

[3] ينظر : موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، القاهرة ، 1972 : 8.

[4] ينظر : نظرية الادب ،رينيه ويليك واوستن وارن ،ت: محيي الدين صبحي ،المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب الاجتماعية ، دمشق ،1972: 205 .

[5] النقد الادبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1970: 463 .

[6] موسيقى الشعر :246 .

[7] بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر ،مرشد الزبيدي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1994 :41 .

[8] ينظر : النقد الادبي الحديث :470 .

[9] ينظر : المثل السائر ،ابن الأثير، تحق : احمد حوفي ، بدوي طبانة ، دار الرفاعي ، الرياض ، ط 2 ، 1984 : 3/15 .

[10] معايير تحليل الاسلوب ، ميكائيل ريفايتر ، ترجمة : حميد الحمداني ، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ط 1 ،1993 :61 .

ويراد بالتكرار (تناوب الألفاظ واعادتها في سياق التعبير ،بحيث تشكل نغما موسيقيا،يتقصده الناظم في شعره اونثره)[11]،و وضوح التكرارفي شعر ذي الرمة وإكثار الشاعر منه جعل التكرار وما يحدثه من توافق نغمي ظاهرة أسلوبية متميزة في شعر ذي الرمة فالشاعرلا ينظم الشعر دون احساسه وشعوره بخصائص ما ينظمه وموسيقاه .[12]

ويجد الشاعر في التكرار مساحة واسعة للتعبير فهو يميل الى (تشكيل الانساق في كل ابداع له ،وطغيان انساق معينة دون اخرى على انماط معينة ثم تجسيد هذه الانساق البارزة ، لخصائص اصيلة في بنية الفكر الانساني)[13] ،ولذا لا يخلو منه ديوان شاعر فالتكرار ضرب من ضروب النغم يترنم به الشاعر لاثره في تقوية جرس الألفاظ في شعره ، وله دور كبير في تشكيل الموسيقى الداخلية التي غالبا ما تكون (خفية تنبع من اختيار الشاعر لكلماته ،وما بينهما من تلاؤم في الحروف والحركات ،وكأن للشاعراذنا داخلية وراء الظاهرة تسمع كل شكلة وكل حرف وحركة بوضوح تام)[14] زيادة على دور التكرار في الايقاع الخارجي .

والوظيفة الإيقاعية اولى وظائف التكرارفي الخطاب الشعري فتبدو في وحدة الوزن والقافية فضلا عن وحدة النغمة المتكررة في النص الشعري (تلك النغمة التي يتآزر في احداثها الصوت في بنية الكلمة والكلمة في بنية السياق النصي للجملة الشعرية ودلالات الالفاظ وايحاءاتها)[15]، وتليها الوظيفة الدلالية فالتكرار عنصر اسلوبي صادر عن الدلالة النصية للخطاب الشعري ، ويضيف بعض الباحثين الى التكرار الوظيفة النفسية لصدوره عن روح الشاعر فالتكرار (يضع بين ايدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة على الشاعر وهو بذلك احد الاضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على اعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها)[16]، ومن امتزاج هذه الوظائف الثلاثة في شعر ذي الرمة يبرز التوافق النغمي المتزامن مع التكرار سمة اسلوبية متميزة في شعره.

والتوافق النغمي يضفي على التكرار بعدا جماليا ، فالانسجام في تكرار الوحدات الجزئية المكونة للكل من ابرز صور التناسق الجمالي في ظواهر الاشياء،[17]ولا سيما ان التكرار احد اشكال التنظيم البنائية التي ترقى الى مستويات من الأداء الجمالي،[18] ذلك ان (التكرار الذي يتم بغرض مبدأ التعادل لا يجعل الأجزاء المتكررة هي وحدها ذات الطابع الترجيعي بل ينسحب على الرسالة الشعرية بأكملها وهذه الكفاءة الترجيعية سواء أكانت مباشرة أم مكتسبة للرسالة الشعبية ومكوناتها تحيلها إلى شيء مستمر يمثل خاصية بنيوية ملازمة لطبيعة الشعر)[19] .

ونظرا لاتساع ديوان ذي الرمة وكثرة أشعاره فقد اخترنا من أشعاره ما نظمه منها على قافية الراء ،لوضوح هذا الانسجام والتوافق النغمي الملازم للتكرارفيه ،ذلك ان لحرف الراء مزية عند الشاعر دفعته إلى افراده وتمييزه بقصيدة متفردة عن سائر قصائده بتخيره حرف الروي (الراء) ليختم به صدرالابيات بما ختم به عجزها ، فتتساوى الاشطر في نهاياتها بما يحدث تناغما موسيقيا يتفق مع بحرالرجز الذي اختاره الشاعرلنظمها عليه،ولا سيما ان حرف الراء من الأحرف الذلقية التي(تخرج من طرف اللسان من طرف غار الفم)[20]فصوت الراء صوتا مكررا يحدث نتيجة لتكرار ضربات ذلق اللسان على اللثة ، ولترددد وخاصيته التكرارية إيقاع موسيقي متميز، و لذا كان التوافق النغمي الناجم عن التكرار جليا في هذه القصيدة وان كان موجودا في سائر القصائد ،اذ يقول وقد هاجت به الذكرى ل(مي) التي اختارها قلبه :[21]

---

[11] جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ماهر مهدي ،دار الحرية ، بغداد ، 1980 :239 .

[12] **ينظر : موسيقى الشعر : 183 .**

[13] جدلية الخفاء والتجلي ، كمال ابو ديب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ،1979 : 108 .

[14] في النقد الادبي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط 3 ، 1963 : 97.

[15] **دلالات لغة التكرار في القصيدة المعاصرة رحمن غركان ،الموقف الثقافي ،دار الشؤو ن الثقافية،السنة الخامسة،ع 32،نيسان 2001 : 80 .**

[16] **قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ،1981 :277 .**

[17] ينظر : جرس الالفاظ :239 .

[18] ينظر : دلالات لغة التكرار في القصيدة المعاصرة :79 .

[19] علم الاسلوب مبادئه واجراءاته ، صلاح فضل ، مؤسسة مختار ، القاهرة ،1992 :291 .

[20] التفكير الصوتي عند الخليل ، حلمي خليل ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، ط 1 ، 1988 :33 .

[21] ديوان ذي الرمة ، شرح : احمد حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1995 ه ،: 99 .

ذكرت فاهتاج السقام المضمر

وقد يهيج الحاجة التذكر

ميا وشاقتك الرسوم الدثر

آريها والمنتأى المدعثر

بحيث ناصى الأجرعينالأيسر

فهجن وقرا واقرالا يجبر

أم الدموع سجم أم تصبر

وليس ذو عر كمن لا يعذر

وما إلى مطموسة مستعبر

قفر يعفيها العجاج الأكدر

قد مر أحوال لها واشهر

وقد يرى فيها لعين منظر

مجالس وربرب مصور

جم القرون آنسات خفر

أتراب مي والوصال اخضر

ولم يغير وصلها المغير

وقد عدتني عاديات شجر

عنها وهجر والحبيب يهجر

فما ان يستمع المتلقي هذه الابيات او يقراها حتى يستشعر في التكرار السائد فيها انسجاما وتوافقا نغميا يجتذبه اليها ولا سيما ان (الشعر في استعانته بالموسيقى الكلامية انما يستعين باقوى الطرق الايحائية لأن الموسيقى طريق السمو بالأرواح ،والتعبير عما يعجز التعبير عنه)[22].

و للبعد المكاني في بنية التكراراهمية كبيرة وله دور واسع في الجانب الدلالي في النص الشعري ، فقد استخدم ذو الرمة صورا توافق فيها طرفا التكرار في المستويين الافقي والعمودي فكان لذلك قيمة فنية معنوية اسهمت في ترديد المعاني وتلاحمها في احد محاور التكرارالتي شاعت في شعرذي الرمة وهو (رد الاعجاز الى الصدور) فمثل هذه التكرارات لايكتفي بالتوافق المزدوج (بل انه يضيف اليها ملاحظة البعد المكاني للدوال وتنسيقها على نحو معين يساعد على توافق حركة السطح مع حركة العمق وهو توافق يفيد الاثر في انتاج الادبية)[23].

ويرد هذا التكرار في تتابع الدالين في البناء الشعري بما يؤثر على اتساع المساحة المكانية او ضيقها ، ففي بنية هذا التكرارقد تتسع المساحة المكانية إلى أقصاها فيكون الدال الأول في صدر البيت والدال الثاني في اخر العجز كما في قوله :[24]

وتهجره الا اختلاسا نهارها

وكم من محب رهبة العين هاجر

وقد تضيق المساحة المكانية وتقل اكثر فيصبح الدال الاول في حشو المصراع الاول والثاني في حشو المصراع الثاني كقوله :[25]

وهم علموا الناس الرياسة لم يسر

بها قبلهم من سائر الناس معشر

وقد تقل المسافة اكثر فيأتي الدال الاول في نهاية المصراع الاول والثاني في نهايته كقوله :

مازلت اتبع في اثارهم بصري

والشوق يقتاد من ذي الحاجة البصرا

وقد تزداد المساحة ضيقا فيكون الدال الاول في نهاية المصراع الاول والثاني في اول المصراع الثاني كقوله :[26]

تلثمت فاستقبلته ثم مثله

ومثليه خمسا ورده غير صادر

اويكون الدال الثاني في حشوه بقوله :[27]

فجئن وقد بدلن حلما وصور

سوى الصورة الاولى وهن ضوامر

---

[22] النقد الادبي الحديث : 381 .
[23] البلاغة العربية قراءة اخرى ، محمد عبد المطلب ،الشركة المصرية العالمية ،القاهرة ،ط 1 ،1997 : 363 .
[24] ديوانه : 132 .
[25] ديوانه : 112 .
[26] ديوانه : 132 .
[27] ديوانه : 117 .

وقد تصل المساحة بين الطرفين الى اقل ابعادها فيلتقي الدالان في مصراع واحد فيكون الدال الاول في اوله والثاني في اخره سواء في المصراع الاول بقوله :[28]

لنا الهامة الكبرى التي كل هامة

وان عظمت منها اذل واصغر

او اجتماعهما معا في المصراع الثاني كقوله :[29]

فتلك التي يعتادني من خبالها

على النأي داء السحر او شبه السحر

وهذا التكرار زيادة على كونه يزيد الموسيقى اللفظية بتقوية الجرس والحرص على الترنم من خلال اعادة اللفظ وتكراره ،فهو يساعد على ايضاح المعنى، ذلك ان للتكرار (قيمة فنية معنوية حيث يغنى به المعنى ويمنحه عدة امتدادات من الظلال والألوان والإيحاءات يحس بها المتلقي من خلال السياق الشعري)،[30] وهنا تتضح الوظيفة الدلالية للتكراروتلاحمها مع الوظيفة الايقاعية ، ففي التكرار ما يدل على زيادة المعنى وتقريره مما يمكن عده أحد طرق إفهام المتلقي واقناعه ،وذلك ان الإبداع الشعري يتحقق في بنية النص من خلال اللغة وتوظيف الشاعر قدراته في النص ليوصل المتلقي إلى معان جديدة غير التي يوحيها ظاهر للفظ زيادة على المعاني المعجمية للألفاظ .

وللتكرار في شعر ذي الرمة أشكال وصور مختلفة ،[31] ابرزها ما نلحظه في المقدمة الطللية لقصائده ، فغالبا ما يفتتحها ذو الرمة بالحديث عن الطلل ومشاعر الحنين واللوعة والاسى المتزامنة مع تجربة الطلل وهو الذي كان ربيب الفلوات واحد ابناء التنقل والترحال من مكان الى اخر وله ذكرياته مع مي التي كان ينظم الشعر فيها حقبة طويلة دون ان تعرفه اوتشاركه تلك المشاعر،[32]ويتكررهذا الافتتاح في اغلب الأغراض التي يطرقها بشعره ، مثلما يكررفيما يتخلل شعره من اسماء واوصاف .

يفتتح ذو الرمة قصيدته التي يمدح بها شمر بن هبيرة الفزاري بقوله :[33]

يادار مية بالخلصاء غيرها

سح العجاج على جرعائها الكدرا

قد هجت يوم اللوى شوقا طرفت به

عيني فلا تعجمي من دوني الخبرا

يقول بالزرق صحبي اذا وقفت بهم

في دار مية استسقي لها المطرا

---

[28] ديوانه : 112 .
[29] ديوانه : 124 .
[30] نحو منهج جديد ، سناء البياتي ،جامعة قان يونس ،بنغازي ، ط 1 ، 1998 : 107.
[31] 31 ذكرت مسبقا اني اخترت من شعره قصائده التي وردت في ديوانه على قافية الراء .
[32] **ينظر : في النقد والادب ، ايليا حاوي ،ايليا حاوي ، دار الكتاب اللبناني ، ط 5 ، 1986 : 287 - 289 .**
[33] ديوانه : 91 .

ويكرر هذا الافتتاح الطللي في قصيدته التي يمدح بها بلال بن ابي بردة يفتتحها بقوله :[34]

اتعرف أطلالا بوهبين والحضر

لمي كانيار المفوفة الخضر

فلما عرفت الدار واعتزني الهوى

تذكرت هل لي ان تصابيت من عذر

ويكثر ذو الرمة من تكرار اسماء بعض مخاطبيه وترديدها بكثرة وذلك بحسب الغرض الذي يبدعه في اغلب قصائده ، ففي تضاعيف هذه القصيدة يكرر الشاعر اسم ممدوحه بلال بن ابي بردة خمس مرات فيقول :

إلى ابن أبى موسى بلال تكلفت

بنا البعد أنقاض الغريرية السجر

وقد يكون في تكرار اسم الممدوح تفخيم له في القلوب والاسماع ،[35] فيقول :

ذخرت أبا عمرو لقومك كلهم

بقاء الليالي عندنا احسن الذخر

ويزيد التكرارالمديح عمقا في قوله :

إذا ذكر الأقوام فاذكر بمدحة

بلالا اخاك الاشعري ابا عمرو

وقوله :

رأيت آبا عمرو بلالا قضى له

ولي القضايا بالصواب وبالنصر

فان كان التكرار مستحسنا في موضع المدح على سبيل التنويه بالممدوح والاشارة اليه ،[36] فانه بهذه الصورة يزيد الالفاظ رصانة والمعاني عمقا والانغام توافقا كما في قصيدة أخرى للممدوح نفسه يفتتحها بقوله :[37]

---

[34] ديوانه : 121 - 127 .
[35] ينظر: العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق ، تحق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط 4 ، 1972 : 2 /74 -75 .
[36] ينظر : جرس الالفاظ : 242 .
[37] ديوانه : 114- 120 .

لمية اطلال بحزوى دواثر

عفتها السوافي بعدنا والمواطر

كأن فؤادي هاض عرفان ربعها

به وعي ساق اسلمتها الجبائر

ويكررفيها اسم ممدوحه في ابيات متفرقة بقوله :

الى ابن ابي موسى بلال طوت بنا

قلاص ابوهن الجديل وداعر

ثم في ابيات متتالية بقوله :

اذا ابن ابي موسى بلال بلغته

فقام بفأس بين وصليك جازر

بلال ابن خير الناس الا نبوة

اذا نشرت بين الجميع المآثر

نماك ابو موسى الى الخير وابنه

ابوك وقيس قبل ذاك وعامر

وكما يكرر اسم ممدوحه فهو يكثر من ذكر اسم مهجوه في قصائده الهجائية ،اذ يفتتح قصيدة يهجو بها امرئ القيس بقوله :[38]

الا يا اسلمي يادار مي على البلى

ولازال منهلا بجرعائك القطر

وان لم تكوني غير شام بقفرة

تجر بها الأذيال صيفية كدر

اقامت بها حتى ذوى العود في الثرى

وساق الثريا في ملاءته الفجر

ويكررفيها اسم مهجوه امرئ القيس في عدة ابيات بقوله :

[38] ديوانه : 102 - 107 .

عجبت لفخر لامرئ القيس كاذب

وما أهل حوران امرؤ القيس والفخر

وما فخر من ليست له أولية

تعد إذا عد القديم ولا ذكر

تسمى امرؤ القيس ابن سعد إذا اعتزت

وتأبى إسبال الصهب والآنف الذكر

ولكنما اصل امرئ القيس العبيد أرضهم

مجر المساحي لا فلاة ولامصر

تخطى الى الفقر امرؤ القيس انه

سواء على الضيف امرؤ القيس والفقر

تحب امرؤ القيس القرى ان تناله

وتأبى مقاريها إذا طلع النسر

هل الناس الا يا امرئ القيس ـ غادر

وواف وما فيكم وفاء ولا غدر

ويستمر بهذا التكرار حتى يصل الى تكرار اسمه ثلاث عشرة مرة مع تكرار الاوصاف التي تحط من منزلة مهجوه ومنها تكذيب وفائه ووصف فقره وغدره وعدم وفائه ولاسيما ان لكل مبدع طريقته فى تسخير هذا التكرار لخدمة غرض محدد أو أغراض ، وفي هذا التكرار قرع للاسماع واثارة للاذهان وتقوية للمعنى .[39]

أما في الفخر فيفتتح قصيدته بقوله مفتخرا :[40]

خليلي لاربع بوهبين مخبر

ولا ذو حجى يستنطق الدار يعذر

فسيرا فقد طال الوقوف وملّه

قلائص امثال الحنيات ضمر

[39] ينظر : العمدة : 2 / 19 - 20 .
[40] ديوانه : 108- 113 .

وفيها يكرر فخره بنفسه وقبيلته بتكرار ضمير المتكلم (أنا) منفصلا تارة ومتصلا تارة اخرى وفي بيت واحد اوفي ابيات متتالية او متفرقة ، وفي تكرار انا في الفخر وتتابع صيغ الجموع لرسوخ التناغم في ذهن السامع .وقد اكسب الفخر هذا الضمير (جرسا موحيا بمعان كثيرة يدركها السامع بفطرته)[41] اذ يقول :

لنا الناس اعطاناهم الله عنوة

ونحن له والله أعلى واكبر

أنا ابن معد وابن معد وابن عدنان انتمي

إلى من له في العز ورد ومصدر

لنا موقف الداعين شعثا عشية

وحيث الهدايا بالمشاعر تنحر

وجمع وبطحاء البطاح التي بها

لنا مسجد الله الحرام المطهر

وكل كريم من أناس سوائنا

إذا ما التقينا خلفنا يتأخر

ويكرره مع تكرار اسماء من يفخر بالانتساب لهم من ابائه ويستعين بالضمير بديلا عن الاسم في الفخر بهم بضمير الغائب في قوله :

هم المنصب العادي مجدا وعزة

وهم من حصى الدهناء ويبرين اكثر

وهم علموا الناس الرياسة لم يسر

وتأبى مقاريها إذا طلع النسر

[41] جرس الالفاظ : 249 .

ويختم قصيدته بالفخر بآبائه وبنوته لهم فيقول :

هل الناس الا نحن أم هل لغيرنا

بني خندف الا العواري منبر

ابونا اياس قدنا من اديمه

لوالدة تدهي البنين وتذكر

ومنا بناة المجد قد علمت به

معد ومنا الجوهر المتخير

أنا ابن خليل الله وابن الذي له آل

مشاعر حتى يصدر الناس تشعر

ويجمع هذا التكرار الى ما يشتمل عليه من تكرارنغمي قوة المعنى ، كما تتكرر في فخره الفاظ العزة والاباء ، إذ يقول :

ابى عز قومي ان تخاف ضغائني

صباحا واضعاف العديد المجمهر

لها حومة العز التي لايرومها

مخيض ومن غيلان نصر مؤزر

ويكمل القصيدة بفخره بنفسه وقبيلته ثم يعود الى وصف الاباء مكررا :

ابى الله إلا اننا آل خندق

بنا يسمع الصوت الأنام ويبصر

ولهذا التكرار اثره في (تعميق المعنى والوصول به الى الحد الذي يعبر المبدع من خلالها عن المعنى بطريقة تثير الاخرين وتنقل انفعالاته اليهم)[42] .

وقد اكثر ذو الرمة من الوصف في كافة الاغراض الشعرية التي طرقها ولاسيما وصفه للطبيعة الصامتة والمتحركة ،اذ يكررذو الرمة في شعره وصف الصحراء والفيافي وما فيها من نبات وحيوان مثلما تبرز في شعره نباتات واشجار كثيرة استلهمها من اسفاره ورحلاته وكررها في شعره ، فقد احب الطبيعة التي تعد ملهما بالغ التاثير في نفوس اغلب الشعراء ووجد في الطبيعة الصحراوية ضالته حتى عدّ اكبر شاعرتغنى بها [43].

لقد كرر ذو الرمة وصف اسفاره الطويلة في الصحراء واكثر منها ، ورسم لنفسه صورة الثور الوحش وهو يقضي الليل وحيدا يتحرك على ضوع البرق كانه يتضرع لله بكشف الضر، وذلك ليشير الى حاله فيقول :[44]

فبات ضيف الاء يستغيث به

---

[42] نحو منهج جديد:114.
[43] العصر الاسلامي : 391 .
[44] ديوانه : 129 - 130 .

من قطقط في سواد الليل محدور

كأنه والدجى في الليل منغمس

ذو يملق من عتيق القهز مقصور

اذا انجلى البرق عنه قام مبتهلا

لله يتلو بالنجم والطور

كما يرسم صورة اخرى لثورالوحش وهو يقاتل بقرونه الكلاب في القصيدة نفسها بقوله :

كرّ يهز سلاحا ما يقومه

قين بمطروقة يوما على كير

ويكرروصف نفسه بثور الوحش حين يتعب من السيطرة فينام متعبا بقوله :[45]

طوى طية فوق الكرى جفن عينه

على رهبات من جنان المحاذر

قليلا كتحليل الالى ثم قلصت

به شيمة روعاء تقليص طائر

الى نضوة عوجاء والليل مغبش

مصابيحه مثل المها واليعافر

[45] ديوانه : 134 - 135 .

فهويستعين بصور الحيوان ليرمز بها الى حالته النفسية ، وليثير في متلقيه نظير مافي نفسه من مشاعر واحاسيس، ويكرر الناقة في القصيدة نفسها فيصفها بقوله :

ومغفى فتى حلت له فوق رحله

ثمانية جردا صلاة المسافر

سوى وطأة في الارض من غير جعدة

ثنى اختها في غرز عوجاء ضامر

ويكرر صورة تعب النوق بقوله :

كأن اعينها من طول ما نزحت

منها اذا خزرت خضر القوارير

من اللواتي لها دهن منصفها

قد غيرتها افيافي أي تغيير

كما يكثر ذو الرمة من رسم صور الطيور الجارحة فيكرر صورة النسر بقوله :[46]

اذا صمحتنا الشمس كان مقيلنا

سماوة جون لم يروق له ستر

اذاضربته الريح رنق فوقنا

على حد قوسينا كما رنق النسر

كما يتكررفي شعره وصف الغراب بقوله :[47]

رأيت غرابا ساقطا فوق قضبة

من القضب لم ينبت لها ورق خضر

فقلت غراب لاغتراب وقضبة

لقضب النوى تلك العيافة والزجر

وكما تتكرر في شعر ذي الرمة الحيوانات فانه يكررفي شعره اسماء النباتات ويكرروصف الجبال والرياح والمطروكل ما له صلة بالطبيعة التي يتعلق بها ،فيصف ذو الرمة الغابة وقد شب فيها حريق ليجعلها صورة يقرب بها وصفه لسرعة طعن الرماح بقوله :[48]

بضرب وطعن بالرماح كأنه

حريق جرى في غابة يستعر

---

[46] ديوانه : 106 .
[47] ديوانه : 107 .
[48] ديوانه : 112 .

ويكرروصفه للمطرلصلته باعادة الحياة الى دار مي التي يقف بها الشاعركما في قوله :[49]

الا يا اسلمي يا دار مي على البلى

ولازار منهلا بجرعائك القطر

ويكرر ذكره بوصفه يشارك الرياح في محو اثارتلك الديار بقوله :[50]

لمية اطلال بحزوى دواثر

عفتها السوافي بعدها والمواطر

ويمزج ذو الرمة بين الطبيعة والجمال البشري فيقول :[51]

كأن عمود الصبح جيد ولبة

وراء الدجى من حرة اللون حاسر

ويختار اجمل ما في الحيوان والنبات ليصور به جمال مي فيقول :[52]

تذكرني ميا من الضبي عينه

مرارا وفاها الاقحوان المنور

وياتي اغلب شعر ذي الرمة في بناء تصويري متفرد ، فقد كان التعبير بالصورة اهم ظاهرة ميزت شعره وجعلته مبدعا متفردا بها ،[53] ولا سيما انه كان ذو مخيلة حالمة مكنته من تصويرالطبيعة بصور مركبة ورؤيتها برؤى غريبة ، وربما يعود بعض ذلك الى (عنصر المفاجأة في صوره ، وهو عنصر جعله يقرن الاشياء المتباعدة بعضها الى بعض ، فنصبح وكأننا حقا في عالم من عوالم الرؤى والاحلام)[54] ومن ذلك الصورة التي يرسمها لروضة من رياض نجد ليصف بهذه الروضة طيب انفاس مي بقوله :[55]

فما روضة من حر نجد تهللت

عليها سماء ليلة والصبا تسري

بها درق غض النبات وحنوة

تعاورها الامطار كفرا على كفر

---

[49] ديوانه : 102 .
[50] ديوانه : 114 .
[51] ديوانه : 133 .
[52] ديوانه : 109 .
[53] ينظر : ذو الرمة شاعر الحب والصحراء ، يوسف خليف ، مكتبة الغريب ، الفجالة ، د . ت : 175 – 176 .
[54] العصر الاسلامي : 394 .
[55] ديوانه : 124 .

بأطيب منها نكهة بعد هجعة

ونشرا ولا وعساء طيبة النشر

فتلك التي يعتادني من خبالها

على النأي داء السحر ال شبه السحر

ويعد مثل هذا التكرار الصوري سبيلا لتقوية المعنى العام لابيات القصيدة ، وذلك برسم صورة معينة تعبر عن خيال الشاعر وتوحي بمشاعره وانفعالاته ،مثلما كان لتكرار الالفاظ (كفر ، نشر ، السحر) دورفي تقوية المعنى التفصيلي الذي يرتبط بالابيات والتناغم الموسيقي الذي يتجلى عنها ، فقد يعمد الشاعرالى التكرار بدافع نفسي شعوري يتقصده لاضفاء لون من التناسق النغمي.

وفي تكرار تلك الصور وتلاحقها في شعر ذي الرمة يتضح تلازم الوظيفتان الدلالية والايقاعية وتفاعلهما مع الوظيفة النفسية ، فتكرار اللفظة في السياق الشعري يعكس جانباً من الموقف النفسي والانفعالي للمبدع ، وكل تكرار يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري، وغالبا ما يكررالشاعر ألفاظا أو عبارات لتوكيد المعنى (فيكسبها معاني وإيحاءات بحيث تأخذ معنى دالا على غرض مناسب لحالته النفسية،من خلال التنبيه عليه او زيادة التنبيه عليه).[56]

ويكثر ذو الرمة من ذكر الالوان وتكرارها في هذا الفن الوصفي ،ولو عدنا الى احدى قصائده المقفاة بالراء وهي قصيدة (جشأت نفسي) نجد فيها ان لتكرار حرف الراء مع التكرار اللوني تنغيما متميزا يزيد من فاعلية الصور التي يرسمها ، فيذكر الالوان بلفظها في وصف مباشر كقوله في الزعفران الاصفربقوله :[57]

وجيد ،ولبات نواصع ،واضح

اذا لم تكن من نضح جاديها صفرا

والاحمر في مفتتح البيت بقوله :

واحمر ملء الكف او فيه ملؤها

دعوت بها صحبي وقد وضحت فجرا

و في ختامه بقوله :

وذي شعب شتى كسوت فروجه

لغاشية يوما مقطعة حمرا

والاخضر في قوله :

واصغر من قعب الوليد ترى به

قبابا مبناة واودية خضرا

ويجمع الاسود والاخضر في قوله :

---

[56] **الأمل واليأس في الشعر الجاهلي ، كريم حسن اللامي ،دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط 1 ، 2008 : 201.**

[57] ديوانه : 85 – 91 .

وارض خلاء تسحل الريح متنها

كساها سواد الليل اردية خضرا

وقد يرسم بالالوان صورا بلاغية جميلة باللون الاخضر فيستعير هذا اللون صفة للقارورة في قوله :

وخضراء في وكرين عرعرت رأسها

لأبلي اذ فارقت في صحبتي عذرا

كما يستعيراللون الاسود لوصف الخطاف بقوله :

واسود ولاج بغير تحية

على الحي رلم يجرم ولم يحتمل وزرا

و يستعيراللون الابيض لوصف القلب بقوله :

وابيض هفاف القميص اخذته فجئت به للقوم مغتصبا

مثلما يستعيره لوصف الشمس بقوله :

وبيضاء لم تطبع ولم تدر ما الخنا

ترى اعين الشبان من دونها خرزا

ولا يقف هذا التكرار اللوني على ذكرالالوان بلفظها فحسب ، بل يذكرما يرادف الصفة اللونية الخاصة بها بقوله :

فما ظبية ترعى مساقط رملة

كسا الواكف الغادي لها ورقا نضرا

تلاعا هراقت عند حوضى وقابلت

من الحبل ذي الادعاص آملة عفرا

ويريد بالنظراللون الاخضر اما العفر فيريد به البيض فيه حمرة .والسجر في قوله :

فيا مي ما ادراك اين مناخنا

معرقة الالحي يمانية سجرا

فالسجر جمع سجراء وهي الناقة في لونها حمرة ،كما يكررذو الرمة ما يمكن عده وصفا لونيا كالاشقر في قوله

نظرن الى اعناق رمل كأنما

يقود بهن الآل احصنة شقرا

و (الصهب) الجامعة بين الشقر والحمر في قوله :

طوتها بنا الصهب المهارى فاصبحت

تناصيب امثال الرماح بها غبرا

و(السمر)في وصف الجلود بقوله :

وشعب ابى ان يسلك الغفر بينه

سلكت قراني من قياسرة سمرا

ويتناغم هذا التكرار اللوني بما احدثه من توافق بين صوت الراء الذي يتردد في اغلب الالوان وبين الراء الذي التزمه الشاعر حرف روي لسائر الابيات مع تكرار تفعيلات البحر الطويل الذي نظم عليه القصيدة ،والتناغم (هو مطلب جمالي يعني التماسك والتناسب ،أي ان العمل الادبي يحمل في ذاته البرهان على طريقة انسجام اجزائه على الصورة التي عليها)[58]، واجتماع هذا التكرار في قصيدة واحدة (جعل المعنى ينصهر بعضه ببعض ويكون اشبه بحلقة مغلقة خالية من الفجوات او كان الكلام صب في سبيكة متماسكة فكان متلاحم الاجزاء)[59] وفي تماسكه هذا دليل على نضوج الفكرة التي يعبر عنها وتماسكها في ذهنه وانصهارها في اعماقه.

والتنغيم الايقاعي الناتج عن التكرارواضح في كل غرض ، (على ان لغة التكرار في الشعر تظل باعثا نفسيا يهيئه الشاعر بنغمة تأخذ السامعين بموسيقاها)[60].

وللوزن علاقة وثيقة بالعاطفة التي تتدخل كثيرا في بناء القصيدة ان لم تكن هي التي تتحكم بها فاحساس الشاعر بالحزن والياس وجزعه لفراق مي جعل وزن الطويل الذي يتصف بكثرة مقاطعه البحر المفضل لديه ،[61] فهو اكثر الاوزان التي ينظم عليها اشعاره .كقوله :

كأن فؤادي صدع ساق مهيضة

عنيف مداويها بطيء جبورها

فان حزموها بالجبائر اوجعت

وان صدعوها بت صدعا كسيرها

كما اختار وزن البحر البسيط بتفعيلاته الثمانية لتفريغ انفعالاته وشحنات نفسه العاطفية لخدمة هذا الايقاع الحزين للقصيدة كقوله :[62]

منازل الحي اذ حبل الصفا علق

من ال مي جديد غير مبتور

اضحت وكل جديد صائر عجلا

يوما الى قلة منه وتغيير

اعراض ريح الصبا تزهي جوانبها

عند الصباح مع الحصباء بالمور

---

[58] نظريات نقدية وتطبيقاتها ، احمد رحماني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 1 ، 2004 : 177 .
[59] نحو منهج جديد :119
[60] جرس الالفاظ : 240 .
[61] ينظر : موسيقى الشعر :177 – 178 .
[62] ديوانه :128 .

وللايقاع اثره في اختيار الكلمات وترتيبها وفق المعنى المراد ، كما ان للموسيقى في خلق الانسجام بين المعاني والالفاظ ، ويكرر ذو الرمة مشاعر اللوعة والحسرة المقترنة بتجربته العاطفية و يصف فؤاده وتصدعه ويأسه من تجبير كسره بقوله :[63]

كأن فؤادي صدع ساق مهيضة

عنيف مداويها بطيء جبورها

فان حزموها بالجبائر اوجعت

وان تركوها بت صدعا كسيرها

كما تتكرر في شعره الفاظ الصبر لتعبر عن حال بعيدة المنال يحاول الشاعر ان يوصل نفسه جاهدا اليها وحيرته بين البكاء على فراقها او الصبرفيقول متأثرا :[64]

فوالله ما ادري اجولان عبرة

تجود بها العينان ام الصبر

وفي هملان العين من غصة الهوى

شفاء وفي الصبر الجلادة والاجر

فهذا التذكارالذي يهيج بشاعر الوجد والوجدانية (ينهل من الذات ومن المعالم الخارجية ومن كل ما يطرأ على الشاعر لانه من اصحاب الفكرة الثابتة المتآكلة من الداخل)[65]،ويشكل تكرار الكلمة ايقاعا داخليا داخل الايقاع المتمثل بالوزن والقافية ، ومن تكرار الكلمة قوله :[66]

تصاغر اشراف البرية حوله

لأزهر صافي اللون من نفر زهر

خلفت ابا موسى وشرفت ما بنى

ابو بردة الفياض من شرف الذكر

ويعد اسم (مي) قاسما مشتركا لسائر الأغراض، فقد ألحت على ذي الرمة أسماء كثيرة إلحاحا نلحظ فيه قوة العاطفة وتوهج المشاعر،الا ان اسم (مي) كان اكثرها ترديدا وهو دليل على ما في نفس الشاعر من تشوق واستعذاب ففي مثل هذه المواضع (لا يجب ان يكرر اسما الا على جهة التشوق والاستعذاب) [67] كما انه بهذا

---

[63] ديوانه : 141 .
[64] ديوانه : 103 .
[65] في النقد والادب : 294 .
[66] ديوانه : 126 .
[67] العمدة : 2 / 74 .

التكراريحاول التعبير عن تجربته الذاتية ليثير متلقيه ويدفعهم لمشاركته المشاعر التي يبثها في قصيدته بذكر اسمها في ابيات متتالية بقوله : [68]

فلا ضير ان تستعبرا لعين انني

على ذاك الا جولة الدمع ،صابر

فيا مي هل يجزي بكائي بمثله

مرارا وأنفاسي إليك الزوافر

واني متى اشرف على الجانب الذي

به انت ، من بين الجوانب ناظر

وان لايني يا ميمن دون صحبتي

لك الدهر من احدوثة النفس ذاكر

وان لاينال الركب تهويم وقعة

من الليل الا اعتادني منك زائر

وان تك مي حال بيني وبينها

تشائي النوى والعاديات الشواجر

فقد طالما رجيت ميا وشاقني

رسيس الهوى منه دخيل وظاهر

فقد اورثتني مي مثل الذي به

هوى غربة دانى له القيد قاصر

[68] ديوانه : 114 - 115 .

ويكررالشاعر اسمها خمس مرات مرات معبرا عن الحالة التي وصلها بفراق مي ومن كثرة الترديد في شعر ذي الرمة نرى ان الشاعريعيش تحت وطأة تراكم من حالة نفسية عصبية تؤدي به الى الضغط على الفاظ معينة يرددها ويلح في ترديدها وهو بذلك يحاول نقل تجربته نقلا صادقا ويعكس المشاعر والانفعالات التي تعصف بكيانه وهذا ما يسمى بالتكرار اللاشعوري (وشرط هذا التكرار ان يجيء في سياق شعوري كثيف يبلغ احيانا درجة الماساة ومن ثم فان العبارة المكررة تؤدي الى رفع مستوى الشعور في القصيدة الى درجة غير عادية وباستناد الشاعر الى هذا التكرار يستغني عن عناء الافصاح المباشر واخبار القارئ بالالفاظ عن مدى كثافة الذروة العاطفية).[69] فالشاعر يتألم لفراق ذلك الوجه الذي يكرر تشبيهه ليصف جماله الباهركقوله :[70]

بوجه كقرن الشمس حر كأنما

تهيض بهذا القلب لمحته كسرا

عين كأن البابليين لبسا

بقلبك منها يوم معقلة سحرا

وذي اشر كالاقحوان ان ارتدت به

حناديج لم يقرب سباخا ولا بحرا

وهو يكرر وصف جمال مية باوصاف متفردة ليرقى بها الى اوج الجمال فلا يجد ما يضاهي مية جمالا (ذلك ان جمال مية لم يكن موجودا وجودا فعليا في قدره المتناسب بل انه كان مبتدعا ومختلقا من اوهام الشاعر وما بثه فيه وسكبه عليه من الانفعالات والتذكارات وما تواقع معه من خيبة والم وسعد ونكد وما اليهما)[71].

ويكررذو الرمة في اشعاره الفاظا تجعل شعره قريبا من اشعار العذريين ، منها الفاظ الحنين والشوق والصبابة والنفس والحياء والاشفاق التي تجتمع في قوله : [72]

فحنت بها النكب السوافي فاكثرت

حنين اللقاح القاربات العواشر

-فابقين ايات يهجن صبلبة

وعفين ايات بطول التعاور

نعم هاجت الاطلال شوقا كفى به

من الشوق الا انه غير ظاهر

فما زلت اطوي النفس حتى كأنها

بذي الرمث لم تخطر على بال ذاكر

---

[69] قضايا الشعر المعاصر : 287.
[70] ديوانه : 86 .
[71] في النقد والادب : 295 .
[72] ديوانه : 131 .

ولهذا التكرار اثر في (تعميق المعنى والوصول به الى الحد الذي يعبر المبدع من خلالها عن المعنى بطريقة تثير الاخرين وتنقل انفعالاته اليهم)[73] وفي قصيدة يعبر فيها عن اشواقه ويتذكر فيكرر الفاظ التذكر مفتتحا القصيدة بها :[74]

ذكرت فاهتاج السقام المضمر

وقد يهيج الحاجة التذكر

ميا وشاقتك الرسوم الدثر

آريها والمنتهى المدعثر

ويذكر وصالها فيكرر بقوله :

اتراب مي والوصال اخضر

ولم يغير وصلها المغير

وما ان تهيج به الذكرى حتى يترجمها الى ألفاظ ينشرها في تضاعيف قصائد ه بقوله :[75]

انا انت عن ذكراك مية مقصر

ولا انت ناسي العهد منها فتذكر

تهيم بها ما تستفيق ودونها

حجاب وابواب وستر مستر

وترديد اسمها يشير إلى تمثلها في ذاكرته واستحضارها في مخيلته ، (وانما يبدع الشاعر في الترديد اذا كان نابعا عن حاجة نفسية ومنساقا بطريقة تحقق التوازن والانسجام بين الموسيقى والمعنى في النص الشعري)[76].

ويشكو من هجرها فيكرر الفاظ الهجر مصورا معاناته بقوله :

وقد عدتني عاديات شجر

عنها وهجر والحبيب يهجر

ويصور حيرته بعد فراق مي مكررا الفاظ الهجر بقوله :

اذا الهجر اودى طوله ورق الهوى

من الالف لم يقطع هوى مية الهجر

(ولعله اراد ان يعزز امتداد شدة الجزع والالم والتاس التي عكست المعاناة الذاتية المتفاقمة في اعماقه ،من خلال ترديده هذه اللفظة،التي صار يدور في دوامتها) .[77]

---

[73] نحو منهج جديد : 114.
[74] ديوانه : 99 – 102 .
[75] ديوانه : 102 .
[76] نحو منهج جديد :108.
[77] الأمل واليأس فيى الشعر الجاهلي : 203.

وكما شاع التكرار اللفظي عند ذي الرمة في وصف الطبيعة فقد شاع في غيرها وباشكال مختلفة تتوافق مع ما يحاول التعبير عنه ، ويعتمد ذو الرمة على تكرار لفظ بعينه في البيت (ليعطي الصورة عمقا في المكان او الزمان او الاحساس مع وضوح في الايقاع)[78] فقد يكرر لفظة واحدة في ابيات متتالية كلفظة الفوارس في قوله [79]:

فجيء بفوارس كالآل منكم

اذا التمجيد انجد ثم غارا

ومثل فوارس من آل جل

اذا ما الحرب رفعت الازارا

وجيء بفوارس كبني شهاب

ومسعدة الذي ورد الجفارا

فجاء بنسوة النعمانغصبا

وسار بحي كندة حيث سارا

اولاك فوارس رفعوا محلي

واورثك امرؤ القيس الصغارا

وقد يكررااللفظة ثلاث مرات في بيتين متتاليين لابراز الحالة الشعورية كقوله :[80]

نظرت ورائي نظرة الشوق بعدما

بدا الجو من جي لنا والدساكر

لانظر هل تبدو لعيني نظرة

بحومانة الزرق الحمول البواكرا

يعارض الزرق هاديهم ويعدله

حتى اذا زاغ عن تلقائه اختصرا

اذا يعارضه وعث اقام له

وجه الضعائن خل يعسف الضفر

وهذا التكرار (يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها)[81]،كما انه يفيد تقوية النغم في الكلام ،و يكرراللفظة في بيت واحد بين الصدر والعجز ،. وفي تكرار لفظة في صدر البيت وعجزه توافق نغمي(يفيد في ايصال قوة النغمة وامتدادها لتصل الى السامع)[82]،كقوله :

---

[78] في الشعر الإسلامي والاموي ،عبد القاهر القط ، دار النهضة العربية ، بيروت :447.

[79] ديوانه : 97 .

[80] ديوانه : 115 .

[81] قضايا الشعر المعاصر : 276 .

[82] جرس الالفاظ :245 .

جلبنا الخيل من كنفي حفير

اعراض الخيل تعتسف القفارا

وقد يجمع الالفاظ المتكررة شطر واحد من البيت نفسه في صدر البيت كقوله : [83]

لنا الهامة الكبرى التي كل هامة

وان عظمت منها اذل واصغر

اوفي عجز البيت كقوله :[84]

الم تعلموا اني سموت لمن دعا

له الشيخ ابراهيم والشيخ يذكر

وفي هذا توافق نغمي يرتفع بالتكرار عن مجرد التأكيد اوابلاغ المعنى (فالتكرارزيادة على كونه يؤدي وظائف دلالية معينة ، فانه يؤدي الى تحقيق التماسك النصي ،وذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص الى اخره ، هذا العنصر قد يكون كلمة او عبارة او جملة او فقرة ،وهذا الامتداد يربط بين عناصر النص بالتأكيد مع مساعدة عوامل التماسك النصي الاخرى)[85].

وقد يجمع التكرار باشتقاقاته في بيت واحد :[86]

قد انتجت من جانب من جنوبها

عوانا ومن جنب الى جنبها بكرا وفي هذا
التكرارنرى التناغم الصوتي في المشتقات المتجانسة ،اذ (ان كثرة انتشار هذا اللون من التجانس الصوتي القائم على ايراد كلمات تشترك في الاصل الاشتقاقي وتشترك في المعنى ،له دلالة خاصة في نفس الشاعر ،اذ انها تدل على ان المعاني التي تدور في خلد الشاعر ليست معاني جامدة بل معان حية ونامية ومتوالدة كما تتوالد الاشتقاقات من اصل واحد ،فمعظم الكلمات المتشابهة في معانيها واصولها الاشتقاقية كلمات تعبر عن حالات نامية في نفس الشاعر او في خياله اوفي امنياته ،وهي كلها تتضخم لديه بسبب شدة معاناته).[87]

واذا كان تكرار اللفظة في البيت قد افاد تقوية النغم في اداء الغرض المراد ، فان الشاعرقد تفنن في هذا التكرار وجعله(تناغما يربط الالفاظ ويوصلها ببعضها) [88] ، فيكررذو الرمة الفاظ عدة منها الفاظ الزمان ،ومن التكرارالزمني تكرار الليل مفردا ومجموعا في قوله :[89]

فلما كسا الليل الشخوص تحلبت

على ظهره احدى الليالي المواطر

و تكرار الليل في قوله : [90]

تشكو اذا وقفت بالقوم في بلد

---

[83] ديوانه :112 .
[84] ديوانه : 113 .
[85] علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، صبحي الفقي ، دار قباء ، القاهرة ،ط 1 ، 2000: 22 .
[86] ديوانه : 87 .
[87] قراءات في الشعر الاندلسي :81.
[88] جرس الالفاظ : 244 .
[89] ديوانه :137 .
[90] ديوانه : 129 .

من آخر الليل ناء غير مهجور

ويكرر الليل بعد ابيات بقوله : [91]

ضاحي المراتع بالبيداء في قرن

يدنو به الليل في ظلماء ديجور

فبات ضيف الاء يستغيث به

من قطقط في سواد الليل محذور

كانه والدجى في الليل منغمس

ذويلمق من عتيق القهز مقصور

ويعود لذكر الليل بعد ابيات بقوله :[92]

فذاك شبهت عيسي في معاقدها

اذا انتحت في سواد الليل بالعير

ويكرر الايام جامعا بين الافراد والجمع في قوله :[93]

ليوم من الايام شبه قوله

ذوو الراي والاحجاء منقلع الصخر

فيبدي الشاعر نزوعا وحنينا لما استقر في ذاكرته من ايام مضت ،و يجمع الليالي والايام في وصف متصل حتى الفجر بقوله :[94]

مدئبة الايام واصلة بها

ليليها حتى ترى واضح الفجر

فهذا التكرارالزمني يعبر به الشاعر عن عميق الحزن الذ ي يعيشه وامتداده على مر الزمان ، فالتكرار ا ثر لما تهيج به النفس من مشاعر متوهجة واحاسيس وانفعالات قوية ، ونلاحظ هذا التكرار الزمني المعبرعن اثر ذلك الزمان في نفس الشاعر وهو يرقب ايامه ولياليه ويصورها ويعدها عدا ذلك (ان الحاح الشاعر على الفاظ معينة يسلط الضوء على اغواره وعلى طبيعة تجربته)[95] .

كما يكثر التكرار المكاني ،فيذكر عدة مواضع واماكن في قصيدة واحدة منها الدهناء بقوله :[96]

هجان من الدهنا كأن متونها

اذا ابرقت اثباج احصنة شقر

---

[91] ديوانه : 129 .
[92] ديوانه :130 .
[93] ديوانه : 126 .
[94] ديوانه : 124 .
[95] نحو منهج جديد : 92 .
[96] ديوانه : 121 - 127 .

والصمان في قوله :[97]

تميمية نجدية دار اهلها

اذا موه الصمان من سبل القطر

واليمامة وقران في قوله :

تقضين من اعراف لبنى وغمرة

فلما تعرفن اليمامة عن عفر

تزاورون عن قران عمدا ومن به

من الناس وازورت سراهن

والزرق ومشرف في قوله :

ولا مي الا ان تزور بمشرف

او الزرق من اطلالها دمنا قفرا وهو يكرر هذه المواضع (كضرب من ضروب التشويق والحنين لكثرة الحل والترحال في حياتهم ، ولاقتران هذه المواضع بهوى يصادفه الشاعر)[98] .

والتناغم مطلب جمالي بما يشيعه في القصيدة من تماسك وتناسب ،(أي ان العمل الادبي يحمل في ذاته البرهان على طريقة انسجام اجزائه على الصورة التي عليها)[99]،ويبدو ذلك واضحا قي شعرذي الرمة بشكل عام ولاسيما في التكرار العددي كما في قوله :[100]

فلم ار عذرا بعد عشرين حجة

مضت لي وعشر قد مضين الى عشر

الى قوله :

وغير ثلاثة بينهن خصاصة

تجاورن في ربع زمانا من الدهر

وقعن اثنتين واثنتين وفردة

حريدا هي الوسطى بصحراء حائر

---

[97] ديوانه : 123 .
[98] جرس الالفاظ : 260 .
[99] نظريات نقدية وتطبيقاتها : 177 .
[100] ديوانه : 122.

وقوله في وصف الابل الخوامس التي ترعى ثلاثة ايام وترد الرابع بقوله :[101]

ومنناهما بالخمس والخمس قبله

وبالحل والترحال ايام ناجر

وتكرار الخمس بقوله :[102]

قبضت عليه الخمس ثم تركته

ولم اتخذ ارساله عنده ذخرا

[101] ديوانه : 136 .

[102] ديوانه : 89 .

وقوله :[103]

تلثمت فاستقبلته ثم مثله

ومثليه خمسا ورده غي صادر

فقلت : اربعا ياصاحبي بدمنة

بذي الرمث قد اقوت منازلها عصرا

وقوله في وصف خمس من القطا :

مناخ قرون الركبتين كأنه

معرس خمس من قطا متجاور

ويتفاضل الشعراء عادة في اظهار براعتهم في التنغيم الايقاعي مثلما يتبارون في اظهار مقدرتهم اللغوية فهم (يعزفون على اوتار قيثارة واحدة هي قيثارة القصيد ومع ذلك لكل منهم موسيقاه وكأنها ولدت معه)[104].

ويكثر التكرار الصوتي في شعر ذي الرمة ،فيكرر في اشعاره حروفا بعينها ، ذلك ان للتكرار اشكالا متعددة ، فقد يكون التكرار واضحاً كتكرار لفظة اوجملة وقد يكون أقل وضوحاً كتكرار الأصوات داخل القصيدة وتكرار الحرف الذي يتصل بشكل مباشر باصوات تلك الحروف ، ومن ذلك تكرار العين في شعره بقوله [105]:

اتعرف اطلالا بوهبين والحضر

لمي كأنيار المفومة الخضر

فلما عرفت الدار واعتزني الهوى

تذكرت هل لي ان تصابيت من عذر

فلم ار عذرا بعد عشرين حجة

مضت لي وعشر مضين الى عشر

فالشاعر يكرر حرف العين ثماني مرات في ثلاثة ابيات،ويمتاز هذا الحرف بصوت جهوري صعب النطق وقد اضفى على الابيات تناغما موسيقيا بتناسقه مع موضوع القصيدة والحالة النفسية للشاعرالمتمثلة بتذكره لاطلال مية الامر الذي يتناغم مع (الكسرة)وهي حركة اواخر الكلمات معبرا بها عن حزنه وانكسار قلبه وحزنه الممتد مع امتداد الحركة ، اذ يمثل العامل الصوتي في الشعر جانبا مهما في بنيته ذلك ان التآلف الصوتي مطلوبا في كل عمل شعري ،ولاسيما ان الحركة (صوت مجهور يخرج الهواء عند النطق به على شكل مستمر من الحلق والفم ، دون ان يتعرض لتدخل الاعضاء الصوتية تدخلا يمنع خروجه او يسبب فيه احتكاكا مسموعا).[106]

ويكرر ذو الرمة الشين في قوله :[107]

---

[103] ديوانه :132 .

[104] فصول في الشعر ونقده ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، 1971: 52 .

[105] ديوانه : 121 - 127 .

[106] اصوات اللغة ، عبد الرحمن ايوب ،دار التأليف ، مصر ، ط 1 ، 1963 : 156 - 157 .

[107] ديوانه : 92 .

شافوا عليهن انماطا شآمية

على قنا الجأت أظلاله البقرا

اشبهن من بقر الخلصاء اعينها

وهن احسن من صيرانها صورا

من كل عجزاء في احشائها هضم

كأن حلي شواها البس العشرا

وفي هذا التكرار امتداد وتفشي وهو (يفيد في ايصال قوة النغمة واستمراريتها الى السامع)[108].

ومن تكرارحرف الراء واجتماعه مع قافية الراء قوله في قصيدته المدحية [109] :

فمثل بلال سوس الامر فاستوت

مهابته الكبرى وجلى عن الثغر

اذا التكت الاوراد فرجت بينها

مصادر ليست من عبام ولا غمر

ونكلت فساق العراق فاقصروا

وغلقت ابواب النساء على ستر

فلم يبق الا داخرفي مخيس

ومنحجر من غير ارضك في حجر

يغار بلال غيرة عربية

على العربيات المغيبات عن المصر

فيكرر الشاعر حرف الراء ثماني عشرة مرة تكرارا تمتزج فيه معاني القصيدة بترددات الراء مع انغام البحر الطويل في توافق نغمي قل نظيره.

وياتي التكرار الصوتي ليشمل مساحة اكبر من تلك المساحة التي يشغلها تكرار الحرف ،وذلك بتكرار العبارات باالاستعانة ببعض الاساليب اللغوية والنحوية التي يخلق استخدامها توافقا نغميا ولا سيما اذا كان ذلك التكرار بترديد صيغة معينة في اول الابيات وتكرارها بنفسها كتكرار(اذا)الشرطية والجملة الاسمية بعدها مع اسم مهجوه في قوله:[110]

اذا المرئي شب له بنات

عصبن برأسه ابة وعارا

اذا المرئي سيق ليوم فخر

اهين ومد ابواعا قصارا

اذا مرئية ولدت غلاما

فالأم مرضع نشغ المحارا

تنزل من ترائب شر فحل

---

[108] جرس الالفاظ :245 .
[109] ديوانه : 127 .
[110] ديوانه : 99 .

وحل بشر مرتكض قرارا

اذا المرئي شق الغرس عنه

تبوأ من ديار اللؤم دارا

اذا ما شئت ان تلقى لئيما

فأوقد ،يأتك المرئي، نارا

ويترافق ذلك مع تكرار الراء داخل الابيات من جانب ومقفيا به مع حرف المد من جانب اخر، وما لحرف المد من قدرة فائقة لما يشيعه في النفس من احاسيس عاطفية لتتسع تلك المساحة الصوتية وذلك التناغم الايقاعي والتلاحم بين اوائل الابيات واواخرها .

واذا كان تكرار الالفاظ في القصيدة قد افاد تقوية النغم في اداء الغرض المراد ، (فان الشعراء قد تفننوا في هذا التكرار وجعلوه تناغما يربط الالفاظ ويوصلها ببعضها)[111] ويلجأ ذو الرمة الى ترديد ادوات النداء والاستفهام ،مما يعكس الحركة النفسية الداخلية لدى الشاعر واطلالها على عالمه الداخلي المحدود ،[112]ففي التكرار انعكاس للفكرة المسيطرة على ذهن الشاعروتأكيدها بالالفاظ والعبارات .

ويكررذو الرمة النداء حين يدفعه الفراق الى تصور نفسه مشرفاعلى الاحتضار والموت بعد فراقه مي وكأنها هي الحياة فيكرر مناديا بقوله :

يارب قد اشرفت نفسي وقد علمت

علما يقينا لقد احصيت آثاري

يامخرج الروح من جسمي اذا احتضرت

وخارج الكرب زحزحني عن النار

كما يكرر الاستفهام الذي يختلف نظامه في الجمل عن غيره من جمل الشرط اوالنفي او التحذيراو التقريع او الاخبار،[113] فالتكرار في الشعر العربي عنصر مهم من عناصر الايقاع وذلك من خلال ما يتركه في النفس من توقع لنوع من التتابع دون سواها ،فمن تكرارالتحذير قوله :[114]

حذارا على وسنان يصرعه الكرى

بكل مقيل عن ضعاف فواتر

وبعد بيتين يكرر التحذير بقوله :

حذار المنايا رهبة ان يفتنها

به وهي الا ذاك اضعف ناصر

وهو يختلف عن تكرار النفي اسلوبا في قوله :[115]

---

[111] جرس الالفاظ : 244 .
[112] في الشعر الإسلامي والأموي : 156.
[113] اصوات اللغة : 155 .
[114] ديوانه : 132 .
[115] ديوانه : 88 .

واسود ولاج بغير تحية على الحي لم يجرم ولم يحتمل وزرا

فعلى الرغم من استخدامه التكراروما له من تاثيرايقاعي الا ان نظام الجملة والتنغيم المتصل بها يختلف عما هو عليه في الاستفهام وان كان تكراراداة الاستفهام كتكرار اداة النفي في البيت الشعري السابق مرتين في شطر واحد فيقول ذي الرمة مستفهما :[116]

هل الناس الا نحن ام هل لغيرنا

بني خندف الا العواري منبر

ويكثر ذو الرمة من الاسلوب الاستفهامي فيكرره في افتتاح القصيدة مثلما يكرره في ابياتها ، ويجمع بين النداء والاستفهام فيبيت واحد فيقول مفتخرا بنفسه : [117]

فهل شاعر او فاخر غير شاعر

بقوم كقومي ايها الناس يفتخر

وفي قصيدة اخرى يجمعهما بقوله :[118]

هل الناس الا ـ يا امرئ القيس ـ غادر

وواف وما فيكم وفاء ولا غدر

ويكرر اجتماعهما في القصيدة نفسها بقوله :

ارحم جرت بالود بين نسائكم

وبين ابن حوط ياامرأ القيس ام صهر؟

وقد حاول ذي الرمة بهذا التكرار ان يحافظ على يقظة المتلقي واستمراره في البقاء معه ومشاركته معه في فخره في القصيدة الاولى وفي هجائه في القصيدة الثانية(لان تكرار اداة النداء وادوات الاستفهام تنبه السامع وتثير عقله ووعيه ووجدانه فيبقى مع المتكلم حتى يتم كلامه)[119]، ويترافق هذا التكرار في الاسلوبين مع تكرار الالفاظ ممتزجا بتكرار حرف الراء في ايقاع نغمي جميل.وعلى الرغم مماعرف به ذو الرمة من انتمائه لمدرسة الصنعة ، وما عرف عن التكرار من حاجته لتلك الصنعة وتدخلها في نتاجه حتى ما عد منه عفويا بعيدا عن الصنعة والعمد فان شعر ذي الرمة(يمثل شعر الفطرة الناقلة عن النفس والحس في عفويتها وبكارتها وبتوليها المباشرة عبر عبارة مشتقة من طبع الشاعر ومن معاناته وفي وجدان داجن لم يتخطفه سراب الرؤيا ولم تحتقن فيه ازمة المعاناة الكلية)[120].ومما سبق يمكننا القول ان التكرار في شعر ذي الرمة وما رافقه من توافق نغمي قد شكل ظاهرة اسلوبية ميزت شعره بما حملته الفاظ قصائده من طاقات ايحائية وما تركته من أثر انفعالي في نفوس متلقيه بعد ان تفردت قصائده بما اشترط للتكرار الناجح بأن تكون له دلالة نفسية وان يستند الى هندسة تقوم على التوازن في العبارة وان يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام للقصيدة ،[121] ذلك ان ارتباط التكرار بالظرف النفسي للشاعر يجعل اللفظ وثيق الصلة بمعنى النص، فالتكرار يرتبط ببعد شعوري وجداني تتوافق فيه قوة المعنى مع روعة النغم لتعميق اثر الكلمة في النفوس،لذا كان التوافق النغمي في شعر ذي الرمة نتاجا لتناغم الوظائف الثلاثة التي يؤديها التكرارمن جانب وتوافقها مع الاغراض التي يطرقها الشاعرمن جانب اخر .لقد كان التكرار عند ذي

---

116 ديوانه : 112 - 113 .
117 ديوانه 120 – 121 .
118 ديوانه : 106 - 107 .
119 قراءات في الشعر الأندلسي :131.
120 في النقد والادب : 295 .

121 ينظر : قضايا الشعر المعاصر :276 –279 .

الرمة أسلوباً بارزاً في شعره، انسجم بصورة واضحة مع المواضيع التي كان الانفعال فيها كبيراً خاصة في موضوعي الفخر والهجاء،كما كان ذا فائدة كبيرة في إغناء النص من حيث المعنى والموسيقى، و كشف عن فاعلية كبيرة في زيادة تلاحم النص الشعري وتعميق وحدته العضوية، وزيادة درجة الإيقاع في النص مواكباً لإيقاع العصرالذي عاشه مما أكسبه ميزة جمالية كبيرة.

قائمة المصادر

* اصوات اللغة ، عبد الرحمن ايوب ،دار التأليف ، مصر ، ط 1 ، 1963.
* الأغاني ، أبو الفرج الاصبهاني ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 2 ، 1961 .
* الأمل واليأس في الشعر الجاهلي ، كريم حسن اللامي ،دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط 1 ، 2008 .
*البلاغة العربية قراءة أخرى ، محمد عبد المطلب ،الشركة المصرية العالمية ،القاهرة ،ط 1 ،1997 .
* بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر ،مرشد الزبيدي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1994 .
* التفكير الصوتي عند الخليل ، حلمي خليل ،دار المعرفة ، الاسكندرية ، ط 1 ، 1988 .
* جدلية الخفاء والتجلي ، كمال ابو ديب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ،1979.
* جرس الألفاظ ،جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ماهر مهدي ،دار الحرية ، بغداد ، 1980 .
* دلالات لغة التكرار في القصيدة المعاصرة ،رحمن غركان ،الموقف الثقافي ،دار الشؤو ن الثقافية،السنة الخامسة،ع 32،نيسان، 2001.
* ديوان ذي الرمة ، شرح : احمد حسن ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1995 .
* ذو الرمة شاعر الحب والصحراء ، يوسف خليف ، مكتبة الغريب ، الفجالة ، د . ت .
* العصر الاسلامي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط 17 ، 1996 .
* علم الاسلوب مبادئه واجراءاته ، صلاح فضل ، مؤسسة مختار ، القاهرة ،1992 .
* علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، صبحي الفقي ، دار قباء ، القاهرة ،ط 1 ، 2000 .
* العمدة ، ابن رشيق القيرواني ،تحق :محمد محيي الدين عبد الحميد ،مطبعة السعادة ، مصر ، ط 3 ، 1963 .
* فصول في الشعر ونقده ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، 1971 .
* في الشعر الإسلامي والاموي ،عبد القاهر القط ،دار النهضة العربية ، بيروت .
* في النقد الادبي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط 3 ، 1963 .
* في النقد والادب ،ايليا حاوي ، دار الكتاب اللبناني ، ط 5 ، 1986 .
* قراءات في الشعر الأندلسي ، صلاح جرار ، دار الميسرة ، ط 1 ، 2007 .
* قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ،1981 .
* المثل السائر،ابن الأثير، تحق : احمد حوفي ، بدوي طبانة ، دار الرفاعي ، الرياض، ط 2، 1984 .
* معايير تحليل الاسلوب ، ميكائيل ريفايتر ، ترجمة : حميد الحمداني ، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ط 1 ،1993 .
* موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس ، القاهرة ، 1972 .
* نحو منهج جديد في البلاغة والنقد ، سناء البياتي ،جامعة قان يونس ،بنغازي ، ط 1، 1998 .
* نظريات نقدية وتطبيقاتها ، احمد رحماني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 1 ، 2004.
* نظرية الادب ،رينيه ويليك واوستن وارن ،ترجمة : محيي الدين صبحي ،المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب الاجتماعية ، دمشق ،1972 .
* النقد الادبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1970 .